

تجار الدين

كنت اعرف وأنا أوصل كتابتي عن – البعث الجديد – ان المسألة قد تبلغ من الخطورة حدا يرغمني علي التفرغ لها...

والأعمال كثيرة والمسئوليات ضخمة والوقت محدود!!

انني لم اكن أود – علي الإطلاق – ان أتوقف عن الكتابة في مسألة خطيرة كهذه تشغل أذهان الملايين في بلاد المسلمين هنا في الشرق وهناك في الغرب, لكن ظروف العمل المتشعب الأطراف ومسئولياته ارغمتني علي التوقف عن المقال التاسع ثم كان علي ان أوصل الحديث بعد أيام لكن تلك الظروف والمسئوليات أكلت وقتي كله...

وبدا الكثيرون يتساءلون:

لماذا توقف أنور السادات عن مواصلة حديثه الخطير!؟

والواقع ان عشرات الأسئلة كانت تتري وتملاء اذني كل يوم, وكنت ابتمس لرغباتها ثم كان علي لكي أوقف سيل الأسئلة ان استأنف الحديث عن البعث الجديد.

فبدأت حديثي بتلك الكلمات التي تدافعت في راسي كالموج المتلاطم وأنا اقف أمام قبر الرسول... نبي الحق والعدل والعمل ثم مضيت أتساءل عن السبب في ماسأتنا في بلاد المسلمين!!؟

تساءلت عن جوعنا وعرينا ومرضنا ثم جهلنا...!!؟

ولماذا لم يتعرض لكل هذه الكوارث المميتة سوانا – نحن – المسلمين –؟! ومضيت بالقارئ في رحلة سريعة بين مجلدات التاريخ من أيام عصر الإسلام الزاهي – في القرن العاشر حتى الثالث عشر الميلادي – الي عصر الكهانة في أوروبا...

ثم كيف كانت جهود العلماء العرب هي السبب في تخليص أوروبا من ظلامها وكهانتها!!

ثم كيف وقعنا — نحن المسلمين — بين مخالبا الكهانة فقذف بنا تجار الدين الي هوة مظلمة بعيدة عن الحضارة التي صنعها أجدادنا... وبعيدة عن المدنية.. وعن العلم والحق والعدل!!

ذلك كان محور حديثي في مقالتي السابقة التي علي اخر مقال منها اكثر من أسبوعين... وقد كنت أقرأ منذ أيام كتابا وضعه مستشرق من النمسا اسمه " ليوبولدفايس " اعتنق الإسلام فيما بعد وهو في غمرة بحثه الطويل عن السبب في مأساة المسلمين واصبح اسمه " محمد أسد.. "

والكتاب عوانه: الإسلام في مفترق الطرق...

وقد شعرت — وأنا أتصفح ذلك الكتاب — ان المسألة بالنسبة لنا نحن المسلمين مادمننا نريد ان نحطم أغلال الكهانة ونقيم سدا منيعا يحميننا من الخطر الذي يهدد مستقبلنا ويعزلنا عن التطور والحضارة ويمنعنا من المساهمة مع البشر جميعا علي اختلاف مذاهبهم وديانتهم في إقامة دعائم عالم يسوده الأمن والحق والعدل والسلام.

... أقول أن المسألة — في هذه الحالة — بالنسبة لنا هي أن نزيل تجار الدين من طريقنا.. ثم بعد ذلك لن نقف قوة أمامنا لتمتعنا من الانطلاق نحو أهدافنا.. نحو الحق و العدل و السلام. وتلك أهداف محمد نبينا..!؟

أن ذلك المستشرق ليوبولد فايس أو محمد أسد المسلم العالم المتطور جاء من أوروبا الي الشرق في عام 1922..

وكان وقتها يعمل صحفيا وأوفدته بعض أمهات الصحف ليراسلها من أفريقيا ومن آسيا.. ومضي " ليوبولد " يتجول في ربوع بلاد المسلمين.. وكان اهتمامه بتلك البلاد — في بداية الأمر — لا يتعدى اهتمام رجل غريب..

ثم بعد أن مضي عليه بعض الوقت في الشرق الإسلامي شعر ان أحاسيسه قد بدأت تتفعل بما يراه..

وهو يقول:

" لقد رأيت نظاما اجتماعيا ونظرة الى الحياة تختلف اختلافا أساسيا عما هو عليه الحال في أوروبا.. فنشأ في نفسي ميل الى أدراك لحياة اكثر هدوءا أو بعبارة أخرى أكثر إنسانية!!!"
ويزور ليوبولد أفغانستان و الحجاز و سوريا و يمضي ينتقل من بلد الى بلد وهو يدرس و يبحث مسقطا من حسابه واجبه كصحفي...

ناسيا ان عمله الذي يرتزق منه يوشك ان يضيع... كان قد بدأ يتأمل في الحياة...
وهو عندما أعلن إسلامه كان يريد ان يواصل دراسته لهذا الدين الذي لم يسمع عنه أيام ان كان يعيش في النمسا معزولا عن الشرق و فلسفته... و لا شك ان اضطراب الأحوال في أوروبا في ذلك الوقت قد دفع ذلك الشاب الى البحث عن حياة اكثر هدوءا و واقعية أو كما يقول أكثر إنسانية ، فمضى يواصل الليل بالنهار يدرس الحضارة العربية و فلسفة علماء العرب.. و حقيقة رسالة محمد بنظرة علمية تختلف اختلافا كليا عن نظرة تاجر دين أو مشعوذ.

ويقول ليوبولد وهو يصف أحاسيسه بعد أن يتأمل في الحياة:
" لقد كونت رأيا.. وهو أنه في الإمكان تنظيم الحياة الإنسانية مع أقل قدر ممكن من النزاع الداخلي، ومع أكبر قدر ممكن من المشاعر الحقيقية."
وعندما تمر الأعوام بالشباب " ليوبولد" الباحث عن حلول لمأساة البشر وهو يطوف بالشرق تروعه الحياة العفنة التي تعيشها الملايين فيقول:
"على أي حال أن الحياة الإسلامية في الواقع – تبدو في أيامنا هذه بعيدة جدا عن الإمكانات العظمى التي تتضمنها تعاليم الإسلام.."

فما كان في الإسلام من تقدم و حيوية أصبح اليوم تراخيا وركودا
وكل ما كان في الإسلام من أيثار و كرم أصبح اليوم أنانية و عشقا للحياة الهنيئة.. أصبح ضيق نظر.."

وهو يقرر في كتابة الملى بالتجارب و الدراسات أن المجتمع الإنساني يخضع في كل مكان لتغير أساسي ويختلف هذا التغير – كما يقول ليوبولدفايس – في بلد عنه في آخر...

وقد تخيل – ليوبولد – نفسه مسلماً يعيش في بلاد المسلمين وهو يقول أن تلك كانت تجربة عقلية بحتة، فإنه كلما أزداد فهماً لتعاليم الإسلام.

أزداد رغبة في التساؤل عما دفع أتباع محمد إلى عدم تطبيق تعاليم..

ذلك النبي المناضل تطبيقاً عملياً على الحياة الحقيقية.. أي على الواقع المسيطر على كل بلد والذي يختلف – قطعاً – عنه في بلد آخر؟!

وقد ناقش – ليوبولد – هذه المسألة مع كثيرين من المفكرين المسلمين كما يقول من طرابلس الغرب إلى هضبة " البامير " في الهند ومن اليوسفور إلى بحر العرب.

وقد دفعته مناقشته تلك مع هؤلاء المفكرين إلى مضاعفة اهتمامه بالعالم الإسلامي من الناحية الثقافية، وهو بعد ذلك:

" عندما زادت رغبتني تلك واهتمامي أصبحت أتكلم إلى المسلمين أنفسهم فأشفق على الإسلام – وأنا غير المسلم – من إهمال المسلمين وتراخيهم ".
ثم عاد " ليوبولد " إلى أوروبا وهناك مضى يدرس ويبحث ويتأمل..

ثم عاد إلى الشرق ليواصل دراسته.. ثم سافر إلى الحجاز و نجد ليكمل تلك الدراسات، كان لا يزال يبحث عن أسباب انحدار الشعوب الإسلامية إلى تلك الهوة المظلمة حيث لا علم.. حيث لا حضارة.. حيث لاحق ولا عدل ولا عمل!

ويقول ليوبولد بعد أبحاثه العديدة:

" أن هذه الدراسات و المقارنات قد خلقت في نفسي عقيدة راسخة و هي أن الإسلام من وجهتيه الروحية و الاجتماعية – لا يزال بالرغم من جميع العقبات التي خلفها المسلمون أعظم قوة ناهضة بالهمم عرفها البشر.. لهذا اتجهت رغباتي كلها منذ ذلك الحين حول مسألة بعثه من جديد".

مسألة البعث الجديد – أنن – هي الطريق.. هي الطريق الذي يرى جميع المفكرين و الثوار والمناضلين أن مستقبلنا فيه.

وبلا بعث جديد يشمل كل بلاد المسلمين في آسيا وفي أفريقيا وفي كل مكان لن ننهض
ولن نجد رزقا أو علما أو حقا أو عدلا!

فكيف يمكن أن يتم هذا البعث الجديد.. كيف نصبح نحن المسلمين.

مثل غيرنا من البشر.. نملك علما وحقا وعدلا.. ونتحكم في مصائرنا ونصنع حياة بهيجة
لا يشوهها بطش أو قهر أو استبداد.

... كيف!؟

كيف نمضي في طريقتنا مع البشر جميعا بلا تعصب وبلا أنانية وبلا وهم!؟

نحن لا نزعم أن الحق والعدل والعمل أهداف يجب أن نناهما نحن دون غيرها..

نحن لا ندعي أن من حق المسلمين وحدهم أن يتحكموا في العلم وفي المدنية.. نحن لسنا
متعصبين أو تجار دين أفاكين يزعمون أن الله قد أورثهم الأرض ومن عليها.. نحن نؤمن
بالإنسانية كوحدة لا تتجزأ نؤمن بمحمد الرسول الذي حدد لنا طريقنا..

نحن نريد أن نساهم في بناء العالم مع جميع البشر على اختلاف مذاهبهم وديانتهم
وفلسفتهم.. بلا حرب وبلا دمار وبلا معارك..

فكيف نصنع هذا كله؟

إننا أولا كمسلمين يتحتم علينا إن نعرف تراثنا.. حتى نقيم أسس بعثنا الجديد على قواعد
علمية و تاريخية..

و إلى الغد!

فهرس

مشاعر

نجوى

كنا.. وأصبحنا

الأمل

المعجزة(1)

المعجزة(2)

بعث جديد

أعظم الأعمال

الثقافة وسيلة.. والحضارة غاية

تجار الدين